

و لكن دعونا نتعرف أولاً على أسباب نشأة النحو، للنحو أسباب كثيرة دعت إلى نشأته. "و تتمحور كلها على الخوف من تحريف القرآن، وأن يصل اللحن إليه فيتحرّف، وقد ورد في ذلك قصص منذ عهد الإسلام، إلى ما بعده :

إذ روي عن النبي (صلى الله عليه و سلم) أنه سمع رجلاً يلحن في كلامه فقال: (أرشدوا أخاكم فقد ضل) و روي عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال أنا من قريش ونشأت في بني سعد فأنى لي باللحن؟¹.

وقد كان أبوبكر الصديق (رضي الله عنه) يقول: لأن أقرأ فأسقط أحب إلي من أن أقرأ فألحن. و مر عمر (رضي الله عنه) على قوم يسيئون الرمي فقرعهم، فقالوا :إنا قوم متعلمون فأعرض مغضباً وقال :والله لخطؤكم في لسانكم أشد علي من خطئكم في رميكم ! سَمِعْتُ رسول الله (صلى الله عليه و سلم) يقول: (رحم الله إمرأاً أصلح من لسانه). وورد إلى عمر (رضي الله عنه) كتاب أوله: من أبي موسى الأشعري، فكتب عمر إلى أبي موسى بضرب الكاتب سوطاً. وقدم أعرابي في خلافة عمر فقال: من يقرئني شيئاً مما نزل على محمد (صلى الله عليه وسلم)؟ فأقرأه رجل سورة براءة : وأذان من الله و رسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله سورة التوبة آية 30 : بجر(رسوله)، فقال الأعرابي: إن كان الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه، فبلغ عمرَ مقالةً الأعرابي ، فدعاه فقال: يا أمير المؤمنين إني قد متُّ المدينة و حكي له القصة، فقال عمر (رضي الله عنه): ليس هكذا يا الأعرابي ، قال : كيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: إن الله بريء من المشركين ورسولُهُ برفع(رسوله)، فقال الأعرابي : فأنا بريء ممن برئ الله و رسوله منهم فأمر عمر(ألا يُقرئ الناس القرآنَ إلا عالم باللغة) ولعمر(رضي الله عنه) تنسب تلك المقالة المشهورة - تعلموا العربية وعلموها الناس فإنها تثبت العقل وتزيد في المروءة-².

و من خلال هذه الحوادث يتضح أن الأعاجم كانوا يلحنون في علامهم و ذلك لعدم اطلاعهم على النحو.

1 ينظر معجم الأدباء: لياقوت الحموي، دار المأمون (دت): 82/1، والمزهر: السيوطي دار إحياء الكتب العربية القاهرة: 379/2

2 معجم الأدباء: 67/1، و الأضداد: لابن الأنباري، حكومة الكويت: 244

"وقصة أبي الأسود الدؤلي وابنته حين دخل عليها في وقدة الحر على رواية فقالت: يا أبت ما أشد الحر؟

برفع (أشد) وجر (الحر) فظنها تسأله وتستفهم منه فقالت: يا أبت إنما أخبرتك ولم أسألك فقال لها: افتحي فاك، وقولي: ما أشد الحر!"

"ودخل رجل على زياد بن عبد الملك فقال: (أن أبينا هلك، وإن أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا، فقال زياد: ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضيعت من مالك وسمع أعرابي مؤذناً يقول: أشهد أن محمداً رسول الله بنصب (رسول) فقال: ويحك فعلت عظيم؟".

وروي أن أعرابياً دخل السوق فقال: "سبحان الله! يلحنون ويربحون، ونحن لا نلحن ولا نربح!" و يتبين لنا من قصة أبي أسود الدؤلي أن للحركة الإعرابية دوراً مهماً في تغيير معنى الكلام كما أن الحروف و الأفعال لها عمل تقوم به أثناء الكلام.

وروي الجاحظ أن أول لحن سمع في البادية: هذه عصاتي¹. و يتضح لنا من خلال هذا الأحداث لبد من ضبط و تعيين قواعد تضبط اللغة.

1 البيان و التبیین للجاحظ تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (دت): 219/2

مفهوم النحو العربي و أسباب نشأته:

و على هذه الأسباب فيمكن تلخيص أسباب نشأة النحو الى البواعث التالية:

- 1- الباعث الديني : وهو الخوف من وصول اللحن إلى القرآن.
- 2 - الباعث الاجتماعي :وهو حاجة العرب للتواصل بالمجتمعات الأخرى.
- 3 - الباعث الثقافي : وهو نمو العقل العربي و تسجيله لظواهر اللغة المختلفة.
- 4 - الباعث القومي : وهو اعتزاز العربي بلغته، وأنفته أن يدخل اللحن إليها¹.

و من أبرز نحاة العربية القدامى نذكر:

"الخليل بن أحمد، ابن مالك ، سيبويه ، ابن جني ، ابن منظور ، ابن خروف ، ابن السراج
ابن سيده ، ، الفيروز آبادي ، الجوهري ، ابن جني ، ابن فارس ، المبرد ، ابن عصفور
أبو إسحاق الزجاج ، أبو علي الفارسي". و يبدو أن للنحو العربي بواعث ساهمت في نشأته
و ذلك من خلال جهود النحاة أمثال سيبويه و السيوطي و غيرهم.

¹ المدارس النحوية : لشوقي ضيف، دار المعارف القاهرة 12:1968-13.

كل لغة في العالم، لا تعد سليمة و لا مفهومة الا اذا كانت مضبوطة بقواعد تضبط سلامتها، و تقوم إيجاجها و لذلك ظهر النحو فما مفهومه؟

مفهوم النحو:

"النحو لغة: لكلمة النحو معانٍ كثيرة كما يلخصها هذا البيت:
للنحو سبع معان قد أتت لغة جمعتها ضمن بيت مفرد كملا قصد ومثل ومقدار
وناحية نوع وبعض وحرف فاحفظ المثلا فمعنى النحو لغة.
القصد: أي نحوت نحوك أي قصدتك.

المثل أو الشبه والنظير: سررت بضيف نحوك، أي سررت بضيف مثلك.
المقدار: أي يقول فلان لفلان لك عندي نحو ألف ناقة، نحو هنا بمعنى (مقدار).
الناحية أو التوجه: قدمت نحو منزلك (جهة منزلك).
النوع أو القسم: لهذا الكتاب سبعة (أنحاء) أي سبعة (أقسام).
بعض: أكلت نحو الأرز أي بعض الأرز.

الحرف أو التحريف: ينحى الكلام أي يحرف الكلام"¹.
و هنا يتبين أن هذا التعريف اللغوي لكلمة النحو أنها تتضمن معان عديدة منها القصد
و المثل و الناحية". و خلال هذا التعريف نرى أن المعنى الأول هو المعنى الشائع، فنحو
الكلام نقصد به هو قصد أصول الكلام، حسب ما كانت العرب تتكلم به.
"النحو اصطلاحاً:

"وردت مفاهيم عديدة للنحو حيث عُرف على أنه "العلم الذي يضبط ويعرف به حالة
أواخر الكلمة من حيث الإعراب والبناء، ولهذا يجب إدراك نوع الكلمة وعلاقتها بالكلمة التي
قبلها، فأقسام الكلمة كما هو متعارف عليه هو اسم وفعل وحرف، فمثلاً هناك أحرف تنصب
وتجزم، وأسماء منصوبة مثل التمييز والحال والمفعول به وغيرها، وأفعال مثل الماضي
والمضارع والأمر". من خلال هذا يتضح لنا النحو له دور في ضبط مراكز الجملة التي
تبنى عليه.

¹ نظر في الباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء ص 1-3

² نفس المصدر الباب في علل البناء

"و يختص النحو كذلك بالإسناد والفهم الصحيح من الجملة، فعند تكوين جملة أو النطق بكلمة يجب أن تكون مفهومة ومسندة يفهمها المستمع (العمل عبادة، فعبادة هي مسند للعمل) والجملة واضحة من حيث الإسناد، فالنحو اصطلاحاً في مجمل الحديث هو إعراب الكلمات من حيث موقعها الإعرابي في الجملة"¹.

و من هذا المنطلق نلاحظ أن للنحو تأثير بالغ في ضبط الكلمة.

"و قد ورد تعرف آخر للنحو في كتاب (التحفة السنية بإعراب المقدمة الآجرومية)

و عرف على أنه " موضوعه ، ثمرته ، نسبته ، واضعه ، حكم الشارع فيه .

كلمة (نحو) تطلق غي اللغة العربية على عدة معاني:

منها الجهة، تقول: ذهبت نحو فلان، أي: جهته. و منها الشبه و المثل، تقول: محمد

نحو علي، أي: شبيهه و ممثله.

و تطلق كلمة (نحو) في اصطلاح العلماء على (العلم بالقواعد التي يعرف بها أحكام

أواخر الكلمات العربية في حال تركيبها: من الاعراب، و البناء و ما يتبع ذلك).

الموضوع: و موضوع علم النحو: الكلمات العربية، من جهة البحث عن احوالها

المذكورة.

الثمرة: و ثمرة تعلم علم النحو: صيانة اللسان عن الخطأ في الكلام العربي، و فهم

القرآن الكريم و الحديث النبوي فهما صحيحاً، اللذين هما أصل الشريعة الاسلامية و عليها

مدارها.

نسبه: و هو من العلوم العربية.

واضعه: و المشهور أن أول واضع لعلم النحو هو أبو الأسود الدؤولي، بأمر أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

حكم الشارع فيه: و تعلمه فرض من فروض الكفاية، و ربما تعيين تعلمه على واحد

فصار فرض عين عليه"².

¹ نفس مرجع في الباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء ص 1-3

² ينظر كتاب: التحفة السنية بشرح المقدمة الآجرومية للطباعة و النشر و التوزيع دمشق-ص-ب 13461

و نجد له تعريفات أخرى: " قال المصنف: و هو أبو عبد الله بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن أجرومية، المولود في سنة 672 اثنتين و سبعين و ستمائة و المتوفى في سنة 723 ثلاث و عشرون و سبعمائة من الهجرة النبوية - رحمه الله تعالى.

قال: للفظ (الكلام) معنيان: احدهما لغوي، و الثاني نحوي".
 "أما الكلام اللغوي فهو عبارة عما تحصل بسببه فائدة، سواء أكان لفظاً، أم لم يكن كالخط والكتابة والاشارة"¹.

و اما الكلام النحوي، فلا بد من يجتمع فيه اربعة أمور: الأول أن يكون لفظاً، و الثاني أن يكون مركباً، و الثالث أن يكون مفيداً، و الرابع أن يكون موضوعاً بالوضع العربي.
 و معنى كونه لفظاً: أن يكون صوتاً مشتملاً على بعض الحروف الهجائية التي تبتدىء بالألف و تنتهي بالياء و مثاله (أحمد) و (يكتب) و (سعيد)، فإن كل واحدة من هذه الكلمات الثلاث عند النطق بها تكون صوتاً مشتملاً على أربعة احرف هجائية:
 فالإشارة مثلاً لا تسمى كلاماً عند النحويين، لعدم كونها صوتاً مشتملاً على بعض الحروف و إن كانت تسمى عند اللغويين كلاماً، لحصول الفائدة بها.

و معنى كونه مركباً: أن يكون مؤلفاً من كلمتين أو أكثر، نحو: (محمد مسافر) و (العلم نافع) و (يبلغ المجتهد المجد) و (لكل مجتهد نصيب) و (العلم خير ما تسعى إليه) فكل عبارة من هذه العبارات تسمى كلاماً، و كل عبارة منها مؤلفة من كلمتين أو أكثر، فالكلمة الواحدة لا تسمى كلاماً عند النحاة إلا إذا انضم غيرها إليها: سواء أكان انضمام غيرها إليها حقيقة كالأمثلة السابقة، أم تقدير. كما إذا قال لك قائل: من أخوك؟ فتقول: محمد، فهذه الكلمة تعبر كلاماً، لأن التقدير: محمد أخي: فهي في التقدير عبارة مؤلفة من ثلاث كلمات"². و من هذا المنصور نرى كونه موضوعاً بالوضع العربي أن تكون الألفاظ التي وضعتها العرب للدلالة على معنى من المعاني.

¹ إذا قال لك قائل: (هل أحضرت لي الكتاب الذي طلبته منك؟) فأشرت إليه برأسك من فوق إلى أسفل، فهو يفهم أنك تقول له: (نعم).

² ينظر كتاب: التحفة السنية بشرح المقدمة الآجرومية للطباعة و النشر و التوزيع دمشق-ص-ب 13461